هيلعلا وه

موصعملل ةيعقاولا ةريسلا ةفرعم ةرورضو نيقيلا ةيجد

ةيوعم نب ديزي ةعيب نم ملاسلا هيلع دجاسلا مامإلا فقوم "خرّؤملا ةنأما"

ةرشع ةعباسلا ةسلجلا - ةيوبنلا ةريسلا نم تاطحم - ملاسلإا يناب

اهاقلأ ةرضاحم
يّنيسحلا يّطلا رهاظ دّيسلا جّاحلا الله ةيآ
هرس الله سدق

.

@MadrastAlwahy

أعوذُ باللهِ من الشّيطانِ الرّجيمِ
بسمِ اللهِ الرّحمٰنِ الرّحيمِ
الحمدُ للهِ ربّ العالمينَ، ثمّ الصّلاةُ والسّلامُ على سيّدنا ونبيّنا
وحبيبِ قلوبنا وطبيبِ نفوسنا أبي القاسمِ المصطفى محمّدٍ
وعلى آلِهِ الطّيّبينَ الطّاهرينَ المعصومينَ المكرّمينَ
واللّعنةُ على أعدائهم أجمعينَ.

أهميّة الاطّلاع على سيرة النبيّ والأئمّة عليهم السلام ومنهجهم

قال الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾.[1]

جرى الحديث باختصار في العام الماضي ـ عند ذكر تاريخ النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله ـ عن السيرة والسنّة، وطُرحت مسائل حول الحالات التي يجب علينا فيها أن نتّبع قول أو فعل رسول الله وأئمّة الهدى عليهم السلام والأولياء بشكل عامّ، والحالات التي لا ينبغي فيها ذلك؛[2] ولكن، بسبب ضيق الوقت وانتهاء أيّام إقامة المجالس، بقيت تلك المسائل غير مكتملة. وقد أثار هذا بطبيعة الحال شبهات في أذهان الرفقاء، وطُرحت تساؤلات وإشكالات.

لذا، رأيتُ من المناسب في هذه الأيّام، وبمقدار ما يُحالفنا التوفيق، أن أطرح على مسامعكم بعض الأمور بخصوص هذه المسألة.

قبل الشروع في هذا البحث، أرى من الضروريّ التنبيه على المسألة التالية: إنّ الاطّلاع على سيرة الأئمّة عليهم السلام ومنهجهم هو من أهمّ المسائل وأكثرها ضرورةً مما يجب علينا متابعته؛ وتُعدّ هذه القضيّة، لا سيّما لطبقة أهل العلم والإخوان المشتغلين في الحوزة، القضيّة الأكثر حيويّة في مسارهم العلميّ.

لزوم بيان الحقائق وحرمة كتمان الوقائع التاريخيّة المُسلّمة

لقد بيّنتُ سابقاً مسألة، ولا أرى مانعاً من التذكير بها هنا مرّة أخرى:

---

[1] سورة الأحزاب، الآية ٢١.

[2] راجع: مباني الإسلام، محطّات من السيرة النبويّة، المحاضرة ١٠.

بالنظر إلى الأمور التي سمعتُها شخصيًا عن تفاصيل حياة أحد الأشخاص، والانطباع الذي تشكّل في ذهني بناءً على تلك الأمور، استمرت في مخيلتي صورةٌ عن شخصيته وشاكلته؛ وبناءً على ذلك، حُددت أفكاري ومبادئي الاعتقادية تجاهه. وبعد مرور سنوات، وبمناسبة ما، سمعتُ يومًا من أحد الأشخاص أمرًا هدّم كل صرح تصوّراتي الذهنية، وغيّر رؤيتي تجاهه. وكنتُ أتساءل في نفسي: لماذا لا تُطرح كل حقيقة؟ ولماذا يجب أن نعيش سنوات طوالًا في ظل معتقد غير حقيقي؟! وإذا لم تُطرح هذه المسائل معنا نحن المُشتغلين بهذه الأمور، ففي أيّ مجال وفي أيّ مورد يجب أن تتّضح هذه الحقائق؟!

وبالمناسبة، عندما تطرّقت في العام الماضي إلى السيرة الظاهرية للنبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله، وصل الحديث إلى بيان الملامح الظاهرية له، حيث كان يمتلك شعرًا طويلًا قد ينسدل على كتفيه؛[1] كما بُيّنت بعض الحالات والأطوار الأخرى له صلّى الله عليه وآله.[2]

بدت هذه المسألة مستبعدةً وغريبةً بعض الشيء لدى العديد من الرفقاء؛ ولكن، بما أنّ منهجي كان مبنيًّا على بيان السيرة، لم أكن أستطيع التغاضي عمّا رأيته أو إخفاءه؛ ولهذا واجهني هذا الاعتراض: «لا يُمكن قول كلّ شيء، ولا يُمكن تصديق كلّ ما يُسمع!». ولكنّ هذه المسألة لم تكن مقبولة لديّ.

إذا كان النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله يمتلك شعرًا طويلًا، فلماذا لا ينبغي لنا أن نطّلع على هذه المسألة؟! وإذا كان منهج النبيّ الأكرم والأئمّة عليهم السلام وسيرته على نحو معيّن، فلماذا يطّلع الناس في ذلك الزمان عليها ولا نطّلع نحن عليها؟! ألسنا من شيعتهم؟! فما الفرق بيننا وبينهم؟! انتبهوا جيّدًا! القضيّة إمّا أن تكون كذبًا أو صدقًا؛ فإن كانت صدقًا، فلماذا لا نعلم بها؟ وإن كانت كذبًا، فالتاريخ سيُبيّن ذلك. إنّ بيان هذه المسألة لم يكن إفشاءً لعمل باطنيّ وخفيّ، بل كان يتعلّق بشكل وملامح أولئك العظماء على نحوٍ ظاهرٍ، وبمرأى ومسمع من الجميع.

كما هو الحال في الخبر الذي نقلتُه قبل مدّة في يوم شهادة الإمام السجّاد عليه السلام، حيث يقول الأصمعيّ:

1. مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، ج ١، ص ١٥٨؛ الأمالي، الشيخ الطوسيّ، ص ٣٤٠.

2. راجع: بيان الإسلام، محطّات من السيرة النبويّة، المحاضرة ١٣.

كنتُ أطوف حول الكعبة المشرّفة في منتصف الليل، فسمعتُ صوت أنين. فاقتربتُ، ورأيتُ شاباً قد وضع رأسه على أستار الكعبة، وتعلّق بها بيديه، وهو يُناجي الله تعالى. فرأيتُ شعره منسدلاً على كتفيه...[1]

حسناً، لقد كان هذا الإمام السجّاد عليه السلام! وقد حدثت هذه الواقعة في فترة شبابه عليه السلام، وليس في شيخوخته!

وفي أحداث كربلاء، يقول حميد بن مسلم، المؤرّخ المعروف لتاريخ كربلاء: رأيتُ شاباً كأنّه فلقة قمر قد نزل إلى ساحة الميدان، فجذب إليه أنظار الجميع، ولم يتجرّأ أحد على الاقتراب منه! وعندما أمعنتُ النظر، تبيّن لي أنّه علي الأكبر عليه السلام، وكان شعره بارزاً من تحت خوذته.[2]

فلماذا لا ينبغي أن تُذكر واقعة تاريخيّة؟! وما هو الدليل على ذلك؟!

النقل الانتقائي للوقائع التاريخيّة، أكبر خيانة يرتكبها المؤرّخ

قبل أيّام، كنتُ أطالع الجزء الخامس عشر من كتاب «معرفة الإمام» للوالد العلاّمة [الطهراني] سلّمه الله تعالى؛[3] بالمناسبة، واجهتُ هذه القضيّة، فرأيتُ أنّه من المناسب أن أنقل المسألة التالية عنه كمقدّمة للبدء في هذا البحث، حيث يتحدّث هناك عن تاريخ الأئمّة عليهم السلام وسيرتهم؛ ومن جملة ما قاله [ما مضمونه]: إنّ وظيفة الشيعي هي أن يعرف

1: منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل عليهم السلام، ج ٤، ص ١٥٠.

2: قال: «وأنا واقف عند قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام، إذ سمعت صوت أنين شاب نحيف الجسم، فالتفتُّ إليه، فإذا هو زين العابدين عليه السلام».
راجع: روضة الشهداء، ص ٤١٩.

3: تُوفّي سماحة العلاّمة الطهراني قدّس الله سرّه الزكيّ، فاقتضى التنويه. المترجم

ملاحظة: ما بين [] هو من المترجم.

ثمّ يقول هناك [ما معناه]: يذكر المرحوم الجزائريّ، وهو أحد علماء طهران: «سافرتُ يومًا إلى الشام، وذهبتُ لزيارة المرحوم السيّد محسن الأمين العامليّ، واتّفق أن كان المرحوم الشيخ عبّاس القمّي، صاحب كتاب مفاتيح الجنان، حاضرًا هناك أيضًا. وفي غمرة الأحاديث التي دارت بينهما، وجّه المرحوم الشيخ عبّاس القمّي اعتراضًا للمرحوم السيّد محسن الأمين العامليّ قائلاً: «لماذا تنقلون كلّ أمر عن الإمام في كتبكم؟! فكثير من هذه الأمور لا تصبّ في المصلحة لكي تُبيّن للناس!».

فأجابه: «مثل ماذا؟».

ديزيلن يسحلا نبّي لعة عيبة يضقم تركذ اذاملا ،لاثمه :يّمقلا سبّاعشيخلا موحرملا لاقف

ن أ ةلأسم باعيتسا نوعيطتسي لاو ،هنولبقتي لاو رملأا اذهن وغيستسي لا سانلافا[1]؟مكباتكي ف

!أديزيُمامإلا عيابُي

"[2]ل اقمماقمل كلا" :ل اقيامكو ،ءيشلكر كذي غبنيلافإ نّ للناس نظرة وصورة خاصّة عن الإمام، ولا ينبغي تغيير هذه النظرة وهذه الصورة. وإذا ذُكرت هذه الأمور في كتبنا، فإنّهم سيفقدون عقيدتهم الأوّلية ومبانيهم الفكريّة، ممّا يؤدّي إلى ضعف اعتقاداتهم».

فأجابه المرحوم السيّد محسن الأمين العامليّ: «لا أفهم لماذا يجب كتمان مسائل لها حقيقة تاريخيّة؟! في أيّ موضع ترون أنّه لا مصلحة في ذكره، أخبروني به لكيلا أذكره! أنا لا أفهم هذا؛ فما أراه مناسبًا أقوم ببيانه».[3]

ةيخيراتلا ةيصخشلا داعبلأا يفخُين أ يهخرّؤُملا اهبكتريةنايخربكأنّ إ ،يداقتعا يف !تانايخلا مظعأ نم هذهف ؛هسفنبو هاهدّدحُيحلاصملعىلءانبءارّقلا راظنأ نعدارفلأا دحلأ

---

[1] ٦٣٧و ٦٣٠ ص ،١ ج ،ةعيشلا نايعأ

[2] ١٤٩ :لزغلا (نزمان) ظفاحن اويد

دراديناكمةتكرهويتقونخسرهم* فلامتاماكرازنانيشنتابارخاب

:لوقي

.ةعضوم رّسلا لكلو ،ةقثِ يدحلكلّ نإف ؛تِابارخلا لِهأ دنعتِامارلكابِهابُتلا

[3] ٢٥٥ ص ،١٥ ج ،مإلامإ ةفرعم

لقد بيّنتُ سابقاً قبل أيّام[1]: أنّه لقد بايع الإمام السجّاد عليه السلام يزيد في المدينة، إلّا أنّ كتب التاريخ اختلفت في ذلك؛ فبعضها يقول: إنّ يزيد نفسه قد جاء إلى المدينة في رحلته إلى مكّة؛[2] وفي بعض التواريخ: إنّ يزيد لم يذهب إلى مكّة في الأساس، بل إنّ قائده وأميره مسلم بن عقبة هو من جاء إلى المدينة، وأخذ البيعة من الإمام ليزيد.[3] وعلى أيّ حال، فقد وردت هذه المسألة في بعض كتب التاريخ. أمّا في أيّ موضع وفي أيّ حال كان الإمام السجّاد عليه السلام، فلندع كلّ ذلك؛ نعم، هناك مجال للحديث والبسط والفحص والتحقيق والتدقيق في هذه المسألة، ولكنّ الأمر المذكور قد ورد في بعض التواريخ.

الفرق بين الإمام الواقعيّ والإمام المصنوع من الأوهام والخيالات

الإشكال الذي يَرِد على المرحوم الشيخ عبّاس القمّيّ هو: لقد عرفتم الإمام انطلاقاً من نظرتكم الظاهريّة؛ وهناك بونٌ شاسع - كما بين السماء والأرض - بين هذا الإمام وبين الإمام الواقعيّ! فلا يُصبح الإنسان عارفاً بالإمام بمجرّد تأليف كتاب «مفاتيح الجنان» وأمثاله. إنّ العارف بالإمام هو وليّ الله والعارف بمقام الإمام، وليس مَن يجمع الروايات مع بعضها،

---

[1] مجلس شهادة الإمام السجّاد عليه السلام.

[2] الكافي، ج ٨، ص ٢٣٤:

«عن بُرَيدِ بنِ معاويةَ قال: سمِعتُ أبا جَعفرٍ عليه السّلام يقول:

إنّ يزيدَ بنَ معاويةَ دَخَلَ المدينةَ وهو يريدُ الحجَّ؛ فبَعَثَ إلى رَجُلٍ مِن قُرَيشٍ فأتاه فقالَ له يزيدُ: 'أتُقِرُّ لي أنّكَ عبدٌ لي؛ إن شِئتُ بِعتُكَ، وإن شِئتُ استرقَقتُك؟!' فقالَ له الرَّجُلُ: 'واللهِ - يا يزيدُ - ما أنتَ بأكرَمَ منّي في قُرَيشٍ حَسَبًا، ولا كان أبوك أفضلَ مِن أبي في الجاهليّةِ والإسلامِ، وما أنتَ بأفضلَ منّي في الدِّينِ ولا بِخَيرٍ منّي! فكيفَ أُقِرُّ لكَ بما سألتَ؟!' فقالَ له يزيدُ: 'إن لم تُقِرَّ لي - واللهِ - قَتَلتُك!' فقالَ له الرَّجُلُ: 'ليسَ قَتلُكَ إيّاي بأعظَمَ مِن قَتلِك الحسينَ بنَ عليّ، ابنَ رسول الله صلّى الله عليه وآله!' فأمَرَ به فقُتِلَ.

ثمّ أرسَلَ إلى عليّ بنِ الحسين عليه السّلام، فقال له مثلَ مقالتِه للقُرَشيّ؛ فقال له عليّ بنُ الحسين عليه السّلام: 'أرأيتَ إن لم أُقِرَّ لك، أليسَ تَقتُلُني كما قَتَلتَ الرَّجُلَ بالأمسِ؟' فقالَ له يزيدُ - لَعَنَهُ اللهُ -: 'بَلى!' فقال له عليّ بنُ الحسين عليه السّلام: 'قد أقرَرتُ لكَ بما سألتَ: أنا عبدٌ مُكرَهٌ؛ فإن شِئتَ فأمسِكْ، وإن شِئتَ فبِعْ!' فقالَ لَهُ يَزيدُ - لَعَنَهُ اللهُ -: "أَولى لَك، حَقَنتَ دَمَك، ولم ينقُصك ذَلِك مِن شَرَفِك!"».

[3] شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٣، ص ٢٥٩:

«لمّا قدم جيشُ الحَرّةِ إلى المدينةِ وعلَى الجيشِ مسلمُ بن عقبة المري، أباحَ المدينةَ ثلاثًا، واستعرضَ أهلَها بالسّيفِ جزرًا كما يجزر القصّاب الغنمَ، حتّى ساختِ الأقدامُ في الدّمِ! وقَتلَ أبناءَ المهاجرينَ والأنصارِ وذرّيةَ أهلِ بدرٍ. وأخَذَ البيعةَ ليزيدَ بن معاويةَ على كلِّ مَن استبقاهُ مِنَ الصّحابةِ والتّابعينِ، على أنّه عَبد قِنٌّ لأميرِ المؤمنينَ يزيدَ بن معاويةَ! هكذا كانت صورةُ المبايعةِ يومَ الحَرّةِ إلّا عليّ بنُ الحسينِ بنِ عليّ، فإنّهُ أعظمَهُ وأجلَسَهُ معهُ على سريرِهِ وأخَذَ بيعتَهُ على أنّه أخو أمير المؤمنينَ يزيدَ بن معاويةَ وابنُ عمِّهِ، دفعًا لهُ عمّا بايعَ عليه غيرُهُ؛ وكان ذلك بِوَصاةٍ مِن يزيدَ بن معاويةَ لَهُ».

ولا مَن يأتي بالأدعية؛ فهؤلاء أناس صالحون ومن أصحاب اليمين، لكنّ العارف بالإمام شخص آخر! ولهذا، نرى وجود مثل هذه الأخطاء الفاحشة في عقيدتهم تجاه الإمام.

لم تكن قضية بيعة عليّ بن الحسين عليهما السلام قضيةً خفية، شئنا أم أبينا؛ فقد اطّلع عليها جميع أهل المدينة، وقد اتّخذ الناس في ذلك الزمان موقفهم تجاه الإمام بناءً على هذه الأحداث والشهادات؛ في حين أنّنا اتّخذنا موقفنا تجاه الإمام بناءً على جهلنا وعدم معرفتنا؛ والمسألة تختلف كثيرًا! فلو كنّا في ذلك الزمان، وشاهدنا هذه المسائل منهم، فهل كانت ستتكوّن لدينا مثل هذه الصورة وهذا التصوّر عن الإمام؟!

إذن، لكي نتمكّن من بناء عقائدنا ومبانينا الفكرية بشكل صحيح، لا مناص لنا من أن نُدرك تاريخ الإمام، ونفهمه كما هو حقًّا.[1]

---

[1] معرفة الإمام، ج ١٥، ص ٢٥٦.

«رأي المرحوم القمّي هذا غير سديد. ذلك أنّه ظنّ الإمام السجّاد أُسوةً للناس بدون بيعة يزيد، وزعم أنّ الناس لو علموا بأنّه يبايع، لرجعوا عن الإيمان والاعتقاد بالتشيّع، أو ضعف إيمانهم واعتقادهم. وبالنتيجة فإنّ الإمام هو الذي لا ينبغي له أن يبايع يزيد.

إنّ مفاسد هذا اللون من التفكير بيّنة.

أوّلاً: لأنّ الإمام الحقيقيّ هو الذي يُبايع، ويُدرك مصالح البيعة، وعمله صحيح، وخلافه، أي: عدم البيعة، غير صحيح.

ثانيًا: لو ابتُلينا هذا اليوم بحاكم جائر كيزيد، ولقلنا: بايعوا وإلّا... وإذا اعتبرنا البيعة ـ حتّى مع هذا الفرض ـ حرامًا وخطأً، فقد أهدرنا دمنا ودماء أهلينا وناس آخرين سدًى، وأمّا إذا علمنا أنّ أئمّتنا قُدوتنا قد بايعوا في مثل تلك الظروف، فإنّنا سنُبايع فورًا بدون أن نُفكّر بالنتيجة السقيمة وما ستستتبعه البيعة من محذورات. أفليست التقيّة من أصول الشيعة الثابتة؟! لِمَ نُظْهِر للناس خلاف ذلك فنُورّط أولئك المساكين في عُسرٍ وحرجٍ للحفاظ على شرفهم وكرامتهم ووجدانهم؟ حتّى إذا بايع أحد في مثل هذه الحالة، فإنّه يعدّ نفسه آثمًا خجولاً، ويرى تلك البيعة مخالفة لسُنّة إمامه ونهجه. وإذا لم يبايع فإنّه يُعرّض نفسه وأتباعه لسيف زنجيّ ثمِل جائر سفّاك، ويفقد حياته جنونًا وحماقةً.

بيان الحقيقة هو بيان الحقيقة نفسها، لا بيان حقيقة خياليّة، وإلّا فإنّ جميع المفاسد تقع على عاتق من نكتم الحقيقة.

كانت في المرحوم المحدّث القمّي ـ مع جميع ما اتّصف به من الجهاد العلميّ والعلماء وحبّ أهل البيت عليهم السلام ـ مثلبة تتمثّل في بتر الأخبار، إذ يذكر مثلاً شيئًا من الخبر كمثال، ويتغاضى عن الباقي الذي ربّما تكون فيه قرائن مفيدة لحدود هذا المعنى المستفاد.

وهذا غير صائب، إذ لعلّ صدر الخبر قرينة على ذيله، وذيله قرينة على صدره. فما على المؤلِّف إلّا أن ينقل الخبر بحذافيره، ثمّ يُعلّق عليه في الهامش أو الشرح إن أشكل عليه في بعض المواضع!

ونلحظ في كتاب «منتهى الآمال» أنّ المحدّث القمّي ذكر مقتل محمّد بن عبد الله بن الحسن المسمّى بالنفس الزكيّة، ومقتل إبراهيم بن عبد الله بن الحسن المسمّى بقتيل باخمرى، وتحدّث عن سيرتهما التي أوردناها في صفحات متقدّمة من هذا الكتاب، *دون أن يشير إلى مثالبهما، واكتفى بالحميد من ترجمتهما.

وهكذا فعل العلّامة الأمينيّ في «الغدير» عند ذكر عبد الله المحض وولديه: محمّد وإبراهيم، فقد تحيّز في كلامه عنهم نوعًا ما، ورغب عن بيان طبيعة الواقعة».

اتّباع العوام للإحساسات غير العقلانيّة

أذكر أنّه في إحدى ليالي الثلاثاء في مسجد القائم، حيث كان هناك درس للتفسير، وبمناسبة الحديث عن مسألة أنّ «عقول الناس في أعينهم والإحساسات تحكم العقل!» قال **الوالد العلاّمة**: «أنتم الآن ترونني بهذا الشكل وهذا المظهر؛ حسناً، أرتدي عمامةً، ولديّ لحيةٌ، وألبس عباءةً وقباءً وعلى رأسي نصفير، وما شابه ذلك. (وهذه الأمور أُضيفها من عندي: ما شاء الله! يا لها من سيّدٍ ذو رأيٍ! ويا لها من سيّدٍ وجيه! ما شاء الله! يا لها من سيّدٍ عالِم، رجلٍ حكيمٍ ووجيه، جامعٍ لصفات الظاهر والباطن! و.) فيميل إليّ البعض؛ فتأتون إلى هنا، وتأتمّون بي، وتجلسون لتستمعوا إلى أحاديثي. ولكن، لو قُدّر، على سبيل المثال، أن آتي غداً إلى المسجد بدون عمامة (بالطبع، هو لم يذكر بعض هذه الأمور، بل أنا أُضيفها)؛ وقصّرتُ لحيتي قليلاً، ولم أرتدِ العباءة والقباء، وخرجتُ من البيت منتعلاً حذاءً بسيطاً، ومرتدياً قميصاً وسروالاً، وتمشيتُ في الشوارع هكذا، حتّى أتيتُ إلى مسجد القائم؛ فهل ستكون نظرتكم إليّ هي النظرة نفسها التي ترونني بها الآن؟!

في حين أنّ علمي لم يتغيّر؛ فمقدار ما لديّ من علم هو نفسه الآن، وتقواي لم تتغيّر؛ فإذا كنتُ أقوم بعبادة وأصلّي صلاةً، فهي نفسها؛ وبصيرتي ومعرفتي بالأوضاع والأحوال لم تختلف! إذن، فيمَ حصل الاختلاف؟ لقد حصل الاختلاف فقط في الشكل الظاهري!

هذه الأمور ليست مزحة! وإنّما أقول هذا كي نُراجع أنفسنا ونُصلح وضعنا! أنا أقول هذا لنفسي! وأقول لكم محقّقاً: إنّ هذه المسألة مؤثّرة بنسبة مائة بالمائة! وهذه هي القضيّة نفسها التي أنا بصدد بيانها. إنّ للإمام عليه السلام صفاتٍ خاصّة، يجب على الإنسان أن يعرف الإمام بالالتفات إلى تلك الصفات، وإلّا فإنّ عقيدته تجاه الإمام ستكون ناقصة.

أهميّة اليقين في تشخيص سيرة الأئمّة عليهم السلام

والآن، الكلام هو: أيّ من أفعال الإمام عليه السلام وتصرّفاته وأقواله يُمكن أن يُطرح كسنّة، وأيّ من أفعاله وتصرّفاته قد لا يكون سنّة؟ وما الذي يجب اتّباعه منها وما الذي لا يجب اتّباعه؟

لتوضيح المسألة، أُقدّم للإخوة مقدّمةً آملُ ألّا تستغرق أكثر من جلسات معدودة، ولكنّ معرفتها ضروريّة. في الوقت الحالي، سأشرع في هذه المقدّمة؛ ولكن، قد تُطرح مسائل

---

*معرفة الإمام، ج ١٥، ص ٢٣٢.

أخرى في الأثناء. إنّ معرفة هذه المقدّمة ضروريّة، والوصول إليها له أهميّة بالغة لتوضيح المسألة، وهي كالتالي:

أساس الشريعة الإسلاميّة في الاتّباع مبنيٌّ على الحقيقة واليقين

يجب أن يكون عمل الإنسان مبنيًّا على اليقين، ويجب أن يكون لديه ملاك للصحّة واليقين والحقيقة لأيّ عمل نُريد القيام به. والكلام الذي نريد التفوّه به يجب أن يكون مبنيًّا على ملاك، وأن نقول ما نستطيع تحمّل مسؤوليّته يوم القيامة. والعمل الذي نقوم به يجب أن يكون نابعًا من اليقين والحقيقة، وأن نكون قادرين على الإجابة عنه يوم القيامة؛ فلا يُمكن للإنسان أن يبني أفعاله على الهوى والنزوات والشعارات!

في الشريعة الإسلاميّة، كلّ أفعال الإنسان وتصرّفاته مبنيّة على الحقيقة واليقين. فالإسلام يقول: يجب أن تعلم أنّ هذا العمل الذي تقوم به الآن هو مرضيّ لله تعالى؛ وإذا كنت لا تعلم، فيجب عليك الاحتياط والتوقّف! وإذا أردت أن تعمل بكلام زيد وعمرو وبكر، فعليك أن تُجيب عن ذلك يوم القيامة! إنّ حركة الفرد المسلم، والفرد الشيعيّ الموالي لأمير المؤمنين عليه السلام في هذه الدنيا، مبنيّة على اليقين والحقيقة.

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[1].

أي: لا تعمل بما ليس لك به علم، ولا تتّبع، ولا تركن، ولا تعتمد على ذلك! ففي يوم القيامة، ستُسأل عن الأعضاء والجوارح ورؤوس الأموال والغرائز والإمكانيّات التي وضعها الله تعالى بين يديك لإدارة الطريق والهداية للسبيل.

سيُقال لك يوم القيامة: لقد رأيت هذه المسألة بعينك، فلماذا عملت بخلافها؟! ولماذا أعطيتك العين؟! لكي لا تبني أفكارك على الأفكار السابقة إذا رأيت شخصًا ما، بل لكي تُحلّل وتُميّز! لم أعطِك العين لتُغمضها كالنعامة، بل يجب أن تفتحها! وأعطيتك الأذن لكي تُحلّل المسائل التي تسمعها، ولا تسير مع بعض العينين والأذنين في طريقٍ جرّ عليك الندامة فيما بعد! وعلاوةً على كلّ ذلك، فإنّ الفؤاد والقلب والوجدان والعقل والفكر الذي منحناك إيّاه، هو أقلّ تعلّقًا بأحدٍ دون وجه حقّ لكي تختبر الحوادث والوقائع في بوتقة الحقيقة والواقع! فلا تتعلّق

[1]. سورة الإسراء، الآية ٣٦.

غير دقيقيّ وغير واقعيّ، ولا تصنع من شخصٍ شخصيّةً كاذبةً بلا سبب، ولا تنسب للفردِ صفاتٍ ليست متّصفةً به دون ملاك وحقيقة! كلّ هذه الأمور هي وظيفة الفؤاد، وكلّ هذه الأمور هي من أجل التحليل الذي يُمكن للفطرة الإنسانية ووجدانه وقلبه أن يصلوا به إلى نتيجة من خلال الاستنتاجات التي تبادر إلى ذهنه؛ ﴿كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾! نحن الذين أعطيناك العين، فلماذا لم تستفد من عينك هذه؟! نحن الذين أعطيناك الأذن، وسمعت هذا الكلام من شخصٍ ما، فلماذا لم ترتّب الأثر عليه في الوقت نفسه؟! نحن الذين جعلنا فيك القلب كوسيلة للتمييز، فلماذا لم تستفد من هذه الوسيلة؟! ولماذا استمعت لكلام الناس؟! هل الناس مثلك؟! وهل كلام الناس ملاك لعملك؟! حسنًا، فليأتِ الناس أنفسهم يوم القيامة ليُجيبوا بدلاً عنك!

بسبب تبرّي الشيطان يوم القيامة من أتباعه

﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ﴾[1]. أي: يقول الشيطان (الذي يتحمّل مسؤوليّة كلّ هذه المسائل والأحداث) يوم القيامة: لم يكن لي شأن بكم، أنا تكلّمتُ بكلمة وأنتم اتّبعتموني؛ كان بإمكانكم ألّا تعملوا بها! فأنا لم أسخّركم، ولم أضع الأغلال في أعناقكم، ولم أُكبّل أيديكم! جئتُ وقلتُ كلامًا (ولكنّكم كنتم تمتلكون عقلاً وشعورًا ووجدانًا وفؤادًا، والله أعطاكم القدرة والاختيار، وأعطاكم العقل والوجدان لكي تروا الوقائع والأحداث والقضايا)؛ كان بإمكانكم ألّا تعملوا بكلامي! فلا أنا فرضتُ نفسي عليكم، ولا أنتم فرضتم أنفسكم عليّ! (فأنا كان لديّ تكليف، وأنتم أيضًا كان لديكم تكليف!) فلا أنا أجبرتكم على هذا العمل ولا كنتُ معكم في مثل هذه العلاقة، ولا أنتم كذلك! [والآن، لا أنا أستطيع أن آخذ بأيديكم وأُنقذكم، ولا أنتم تستطيعون أن تأخذوا بيدي!].

ويقول الشيطان: كان بإمكانكم أن تنظروا إلى أمير المؤمنين وتنظروا إلى أبي بكر؛ وأن تنظروا إلى سوابق عليّ وتنظروا إلى سوابق أبي بكر وعمر؛ وحينها، تحكمون بعد اللتيّا والتي. ولنفترض أساسًا أنّه لم تكن هناك واقعة الغدير، ولم يُنصِّب النبيّ الأكرم أمير المؤمنين؛ ألم تكن رؤية تلك الأحداث ومسائل أمير المؤمنين في الماضي كافية لكي لا تتذبذبوا إلى أبي بكر؟! فأين ذهب شعوركم؟! ألم تروا أنّ أبا بكر وعمر وعثمان فرّوا من معركة أُحد، ولم يعودوا إلى المدينة إلّا بعد ثلاثة أيّام؛[2] في حين، كان أمير المؤمنين يطوف حول النبيّ

---

1. سورة إبراهيم، الآية ٢٢.

2. فيما خصّ أبو بكر، راجع: دلائل النبوة، ج ٣، ص ٢٦٣؛ تاريخ الإسلام، ج ٢، ص ١٩٠.

كلك الفرشة، وتلقّى تسعين جرحًا بليغًا؛ وبعد أن ادّى الثمن مرّة أخرى، هض من فراشه بتلك الحالة، وتوجّه إلى خارج المدينة؟! فلماذا ذهبت بعد ذلك كلّه خلف أبي بكر؟!

﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾؟! ألم تروا هذه الأمور بأعينكم؟! ألم تسمعوا الأمور من النبيّ بآذانكم كلام النبيّ خصوص أبي بكر وعمر والبقيّة؟! ألم تسمعوا هذه الأذان التي أعطيناكم إيّاها، ولكنّكم لم تترتّب عليها أثر؟! ولماذا سمعت كلام النبيّ عن هؤلاء بهذه الأذان؟! ألم تسمع أذنكم هذه؟! سيسألكم الله يوم القيامة عن هذه الأذان: لماذا سمعت في قضايا متعدّدة؟! ألم تسمعوا النبيّ وهو يقول: أقيلوني! أقيلوني! سَلْتُمونِي! ولكنّكم لم تفعلوا، بل ذهبتم إلى أبي بكر وعمر؟! فلماذا فعلتم ذلك؟! أين ذهب عقلكم؟! أين ذهبت أعينكم؟! ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾[3]؟! أي: إذا زللتُم عن الطاعة، وأمسكوا بيدي! أنا لستُ بخيركم، وعليٌّ بخيركم! ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾ أي: إذا لم تكن خيرًا منهم، فانزل! لماذا تفعل هذا في الأعلى؟! وأنتم الذين سمعتم حديث الغدير، إذا لم تكن خيرًا منهم، فلماذا ذهبتم مرّة أخرى، وبايعتم أبا بكر؟! ولماذا لم تذهبوا خلف عليّ؟! ولماذا لم تذهبوا مرّة أخرى، وبايعتم هذه الأمور؟!

والله، إنّ كلّ الأفراد الذين يرون الحقّ، ويسودون عليه بأقدامهم ـ من أيّ صنف وطبقة كانوا ـ سيؤلمون يوم القيامة، بحيث أنّ يدّ أحدٍ لا يُمكن أن تخدع نفسها!

كيفيّة حضور الأعمال الإنسان يوم القيامة

﴿قُلْ لِّلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ كلّ هذه الوقائع والحوادث الأخرى التي حضرها الله تعالى يوم القيامة، كلّ ذلك إلى تلك الصحيفة! وكأنّها صورة أبدية! فعرض الأحداث تتّضح بوضوح جلاء أمام عين الإنسان، وكأنّه يرى هذا المشهد مرّة أخرى، ويقوم بعرض مرّة أخرى، ثمّ يقوم بالتقاط الصور، ثمّ يقول: الآن، شاهد! ثمّ يُشغّل العرض مرّة أخرى، ويقول: لماذا تحدّثت؟ وماذا فعلت؟ وكيف فعلت؟ ويقول: الجواب، ويستمرّ هكذا؛ حتّى الموضع الذي يُريد الله أن يُفقهه فيه، فيفقهه مرّة أخرى ويقول:

---

[1]. ج ١٠، ص ٢٩٥ و٣٢١.

[2]. سورة الإسراء، الآية ٣٦.

[3]. آل عمران، الآية ١٤٤؛ الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٤٠٢؛ الفيض الكاشاني، المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء، ج ٤، ص ١٩٣؛ الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ج ٢، ص ٨٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢، ص ٨٢١.

لنظر ماذا فعلت هنا! ذوالكيفل بطبع، أنا أضرب مثلاً، فالأمر ليس هكذا هنا، بل

هنا كعالم الجزر، حيث يرى الإنسان عين الواقع.

يهلل، فقط كم تختصّ تلك المسألة لا؟ إن هذه المسألة تحتاج إلينا أن نفعل ماذا، أنسحب؟ تلك مسؤوليّة كبرى، كانت إدراكه فهمه بصيرته أكبر، كلّ من كان عنده رأس مال واقعيّ وحقيقيّ فأكبر.

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[1].

العالم الربّانيّ الذي يعلّم الناس ما لا يعلمون

في الآية القرآنيّة الشريفة، يأمر الله تعالى نبيّه الكريم بأن يقول: ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾؛ أي: أنا لا أعلم الغيب، ولم أتّخذ عهدًا من الله، فكيف أعلّم الناس ما لا يعلمون؟[2]

والعلم واليقين الذي أعطاه الله للنبيّ إبراهيم لم يَعطه لآزر! وبما أنّه لم يعطه لآزر، وهو يرى هذه المسألة ويُدركها، فيجب عليه أن يتّبع النبيّ إبراهيم؛ فإن لم يفعل، فهو مسؤول، وسيسأله الله يوم القيامة عن فؤاده: أنت الذي أحسست بالأعلميّة، وأحسست بالنور، وأحسست بالمرتبة التي تفوق مرتبتك، لماذا لم تمتثل؟! (وسيكون لنا لاحقًا كلام مع كلّ جملة من هذه الجمل التي أذكرها!).

﴿إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾؛ أي: انطلق أيّها العالم الربّانيّ، اذهب إلى الناس وعلّمهم ما لا يعلمون!

أنسحب؟ تلك مسألة أخرى!

العلم الذي يعلّمه الله لمن داوم على الاستغفار

كنّا يومًا في مجلس المرحوم العلّامة الطباطبائيّ، وكان هناك شيخٌ فكِه يتعجّب كثيرًا من فيضان علم المرحوم العلّامة الطباطبائيّ وغزارة معلوماته ويقول: «هل يُعقل أن يمنح الله شخصًا كلّ هذا العلم؟!». لقد كان شيخًا ظريفًا! فقال المرحوم العلّامة بلسانه المعهود:

﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾، يا سفند دنده من عيش تبريزي آمد[3]. ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾!

أضيفت تلك الطيور أن يعلّمه الله؛ فكيف بالإنسان ألا يتعلّم من الله وهو مستغرق في العبوديّة؟!

---

[1]. الإسراء، الآية ٣٦.

[2]. مريم، الآية ٧٨.

[3]. طه، الآية ١١٤.

عدم الفرق بين العلم الإجمالي والتفصيلي في وجوب الاحتياط

لا أحتاج في هذه المسألة أن أسأل الحاضرين أن يرفعوا أيديهم إذا كان أحدهم يريد أن يكون من المجتهدين، ولا أن أسأل كم منكم يريد أن يكون من المجتهدين؛ لأنّ الكلّ يريد ذلك! بعد عشرين سنة من الآن سيكون عدد المجتهدين أكثر بكثير من عدد الناس.

وهذه المسألة هي حول أن أقل ما يجب على الإنسان المتديّن هو أن يعلم أن الله تعالى ذكر في كتابه: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[1].

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾؛ أي: «لا شكّ فيه!». يجب أن تعلموا أنّه لا شكّ في هذا الكتاب، ولو بالجملة! إنّ اتّباعنا لهذا الكتاب يكون إمّا بناءً على علمٍ تفصيليّ أو بناءً على علمٍ إجماليّ؛ وبكلتا الطريقتين لِتَحَقُّقِ هذا العلم في النفس الإنسانيّة، فإنّ مجرّد التحقّق هو مُنجّز وموجب لوجوب العمل بمقتضى ذلك المعتقَد. فسواء كنتم تعلمون المسألة تفصيلاً أو إجمالاً، فمتى علمتم أنّ الحقّ هنا ـ حتّى وإن لم تطّلعوا على التفاصيل ـ فيجب عليكم العمل! وهذا ما يُسمّى بالعلم الإجماليّ، والذي سيأتي الحديث عنه إن شاء الله. ولعلّ هذا هو أهمّ بحث لنا في هذه العَشرة: كيف نكون مكلّفين بالاستفادة من علمنا الإجماليّ هذا؟ وكيف يجب علينا أن نسعى خلفه؟

الله لرسوله بحاصر أحد أن يقيم بتاره

لا يستقيم العمل إلّا باليقين حصريًّا، ولا يستقيم بأيّ شيء آخر أبدًا! يقول أمير المؤمنين عليه السلام [ما معناه]: دخلنا يومًا مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وأصحابه إلى مسجد النبيّ؛ فرأينا شابًّا منشغلاً بالعبادة في زاوية من المسجد، وقد اصفرّ لونه، وبدت آثار السهر وقيام الليل على وجهه؛ وكان نحيف البدن جدًّا، وكان من الواضح أنّه يعيش ويسبح في عالم آخر. ولمّا أتمّ صلاته، جاء إلى النبيّ، فقال له صلّى الله عليه وآله وسلّم: «كيف هو حالك ووضعك؟ ماذا تفعل؟ ولماذا حالك هكذا؟».

فقال: «يا رسول الله، لقد أوصلني اليقين إلى هنا! لم أكن هكذا من قبل؛ أمّا الآن، فعندي يقين، وقد انزاحت الحجب عن عيني، وأنا أرى مسائل وحقائق، وهذا الأمر قد شغلني بنفسه ولا يدعني أرتاح!». أي: في البداية لم يكن لديّ يقين؛ ولكن، بناءً على العلم الإجماليّ بأحكامك، كان لديّ يقين راسخ ـ وبالجملة ـ بأنّ مسائلك هي الحقّ؛ أمّا الآن، فقد وصلتُ إلى هذه المسائل، وتحوّل علمي الإجماليّ إلى علم تفصيليّ، وما كنتَ تقوله وكنتُ أقبله منك لمجرّد أنّك نبيّ وصادق وناطق بالحقّ، أصبحتُ الآن أراه وأُدركه بنفسي!

فقال له النبيّ: «حسنًا، ما هي علامة يقينك؟».

فقال: «يا رسول الله، اسأل عمّا شئت! إن شئت فاسأل عن الجنّة، وإن شئت فاسأل عن النار! سأذكر لك كلّ مَن في الجنّة أو النار واحدًا تلو الآخر! هل أخبرك مَن مِن هؤلاء الذين حولك من أهل النار وفي أيّ درك من النار مكانه؟! وهل أخبرك مَن هو من أهل الجنّة وأين منزلته؟!».

---

[1]. البقرة، الآية ٢.

فقال له النبيّ: «احتفظ بهذه الأمور لنفسك، ولا تُفشِ الأسرار!»[1]

مائدة رسول الله المبسوطة لتحصيل اليقين والمعرفة من خلال الاستمداد من الحقّ تعالى

حسنًا، ما حقيقة هذا؟ لقد كانت هذه مائدة بسطها النبيّ للجميع؛ فجاء أحدهم، وجلس على هذه المائدة، ولم يجلس الآخر. إنّ فيض النبيّ الأكرم هو فيض عامّ؛ والخفّاش هو من يُغمض عينيه ولا يستطيع رؤية هذا الفيض! متى كان النبيّ بخيلًا؟! حسنًا، تعال أنت أيضًا! هل أتى النبيّ بشيء من عند نفسه؟! فالنبيّ مجرّد وسيلة! فإلى متى سنخبط خبط عشواء ونبحث عن الحقيقة في مكان آخر؟!

تا به کی نالد و فریاد که آن یار کجاست؟ **همه آفاق پر از یار شد، ای یار کجاست؟

هر که بیدار بود دولت بیدار برد ** دوست در جلوه ولی عاشق بیدار کجاست؟

عیسی تخته دلان می‌رسد از عالم غیب ** سر بیمار که دارد، دل بیمار کجاست؟

یوسف مصری ما بر سر بازار آمد ** ای عزیزان وفا پیشه خریدار کجاست؟

سرّ توحید ز هر ذرّه عیان می‌گردد ** پُر نیاز ی که بود واقف اسرار کجاست؟[2]

يقول: إلى متى النواح والصراخ: أين هو ذلك الحبيب؟ فالآفاق كلّها قد امتلأت بالحبيب، فأين هم الأغيار؟

مَنْ كَانَ يَقْظَانًا، زَالَ الحَظُّ اليَقْظَانُ؛ فَالمَحْبُوبُ يَتَجَلَّى، وَلَكِنْ أَيْنَ العَاشِقُ اليَقْظَانُ؟

وَأَيْنَ القَلْبُ المُكْسَرَةِ قَادِمٌ مِنْ عَالَمِ الغَيْبِ، فَمَنْ ذَا الَّذِي يَشْكُو عِلَّةَ الهَوَى؟ مَسِيحُ القُلُوبِ المُقِيم؟

يوسفُ المصريّ قد حلّ بالسُّوق، فيا أيّها الأحبّة الأوفياء، أين المشتري؟

سرّ التوحيد يتجلّى من كلّ ذرّة؛ لكن، أين هو المحتاج المليء بالشوق الواقف على الأسرار؟.

---

[1] راجع: المحاسن، ج ١، ص ٢٥٠؛ الكافي، ج ٢، ص ٥٣؛ معاني الأخبار، ص ١٨٧؛ المثنويّ المعنويّ، الكتاب الأوّل، ص ٩٢؛ دروس تمهيديّة في تفسير القرآن، ج ٣، ص ٢٧٨.

[2] ديوان منصور الحلّاج، ص ٢٦، أبيات مختارة.

بناء نهضة سيّد الشهداء على أعلى مراتب اليقين

هناك بَونٌ شاسعٌ بين مَن يتبع طريقه ويسير فيه بيقين ووصول إلى المقصد، وبين مَن يتزلزل في مبدئه عند أدنى شبهة! هناك فرق كبير بين ذلك الشخص الذي يقول لسيّد الشهداء: «لو أحرقوني ألف مرّة وذرّوا رمادي في الرياح، لما تخلّيتُ عنك!»[1] وقد كان مسلم بن عوسجة صادقاً! ولم يكن كذّاباً؛ أي لو أنّهم أحرقوه، وأضرموا فيه النار ألف مرّة، لما تخلّى عنه! هناك فرق كبير بين أولئك الذين كانوا مع الإمام الحسين عليه السلام، وبين ذلك الشخص الذي يفرّ من المعركة بمجرّد إطلاق مدفع، ويذهب إلى بيته إذا رأى الأوضاع قد تغيّرت!

إنّ كربلاء هي قضيّة فريدة! فليس لدينا اثنين من كربلاء! وليس لدينا كربلاء في أفغانستان والهند وباكستان وإيران؛ بل لدينا كربلاء واحدة فقط! واستعمال لفظ كربلاء لأماكن أخرى محرّم شرعًا! وسنتحدّث عن هذه القضيّة أيضًا إن شاء الله. هل كان أولئك أيضًا هكذا؟! هل كان مسلم بن عوسجة بينهم؟! ذلك المسلم الذي يقول للإمام الحسين عليه السلام ليلة عاشوراء: «لو قتلوني ألف مرّة ثمّ أحيوني، ثمّ أحرقوني، ثمّ ذرّوا رمادي في الرياح، لما تخلّيتُ عنك!». هذا ما يُسمّى باليقين! فلن يتخلّى عنه حتّى لو هطلت عليه القنابل كالمطر، ولن يتخلّى عنه حتّى لو وضعوا الحلوى في فمه، ولن يتخلّى عنه حتّى لو سقوه السمّ الزعاف؛ هذا ما يُسمّى باليقين! فهل كان وضعُ الآخرين هكذا أيضًا؟! الإمام الحسين واحد؛ وانتهى الأمر! جاء شخص واحد ومضى! فالإمام الحسين ليس بضاعةً في كلّ دكّان!

عاشوراء قضيّة يجب على الإنسان أن يرى فيها ما حدث في كلّ لحظة من لحظاتها، وما هي المسألة التي كانت فيها. فالإمام لم يُقم بأيّة دعاية أبداً، بل قال للجميع منذ البداية [ما مفاده]: «كلّ مَن يأتي معي سيُقتل؛ فلا يأتِ أحد!» ولكنّه فتح الطريق للبعض بقوله: «**مَنْ كانَ باذِلاً فينا مُهْجَتَهُ، ومُوَطِّناً عَلَى لِقاءِ اللهِ نَفْسَهُ فَلْيَرْحَلْ مَعَنا**»[2] أي: مَن كان يريد الوصول إلى الله فقط، فقد فتحنا له طريقاً.. فتحنا طريق الله تعالى فقط!

أمّا طريق التوسّع في البلدان، والحصول على الأموال، ونيل الغنائم، والوصول إلى الدنيا، فقد أغلقناه بأكمله! أغلقنا الجميع! فمَن أراد الوصول إلى الله تعالى، فبسم الله، نحن لا نغلق طريقه! هكذا هي قضيّة عاشوراء!

---

[1]. الإرشاد، ج ٢، ص ٩٢.

[2]. اللهوف، ص ٦١.

في ليلة عاشوراء، يأمر سيّد الشهداء عليه السلام بإطفاء المصابيح؛ فهو لا يُطبّل للقضيّة ولا يُزمّر لها، ولا يُطلق الدعايات حولها؛ لا شيء أبدًا! بل يُسهّل المسألة، ويفتح الأمر للجميع بكرمه المدجّج، ويقول: «إنّ هذا اللّيل قد غشيكم، فاتّخذوه جملًا»[1]

گفت: ای گروه، هر که ندارد هوای ما ** سر گیرد و برون رود از کربلای ما

تا دست و رو نشسته به خون، نیفتد کس ** اذن طواف در حرم کبریای ما

برگردد آن که با هوس کشور آمده ** سر نارود فرود به افسر شاهی، گدای ما

ما را هوای سلطنت و ملک دیگر است ** کاین عرصه نیست درخور فرّ همای ما[2]

يقول: قال: أيّها القوم، مَن لم يكن له هوانا، فليحمل رأسه ويخرج من كربلائنا

مَن لم يبذل جسده للمحنة لم يترك رأسه، لا يُمكنه أن يضع قدمه في خلوتنا
ما لم يغسل أحد يديه ووجهه بدمه، لن يجد إذن الطواف في حرم كبريائنا
فليرجع من جاء بطمع الملك؛ فهنا لا يُطأطئ رأسه لتاج الملوك
لدينا هوى سلطنة وملك آخر؛ فهذه الساحة ليست جديرة بطائر السعد الخاصّ بنا.

ثمّ يُخاطب أصحابه وأهل بيته قائلًا:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَصْحَابًا أَوْفَى وَلَا خَيْرًا مِنْ أَصْحَابِي، وَلَا أَهْلَ بَيْتٍ أَبَرَّ وَلَا أَفْضَلَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي؛ فَجَزَاكُمُ اللهُ عَنِّي خَيْرًا!

أَلَا وَإِنِّي لَأَظُنُّ يَوْمًا[3] لَنَا مِنْ هَؤُلَاءِ؛ أَلَا وَإِنِّي قَدْ أَذِنْتُ لَكُمْ، فَانْطَلِقُوا جَمِيعًا فِي حِلٍّ، لَيْسَ عَلَيْكُمْ مِنِّي ذِمَامٌ!

أي: أنا لا أظنّ أنّنا سننجو من هؤلاء القوم يومًا؛ فقد أحللتكم جميعًا من ذمّتي، وعفوت عنكم!

---

1. المصدر نفسه، ص ۹۰.
2. ديوان ذيّر، ص ۱۹۵، مع اختلاف يسير.
3. خ ل: أنّه آخر يوم.

اوقُرَفَتوَ] يِتْيَبِلْ نْمِ لاجِرلا لُجُرٍ دِيَبِ لُكُ ْدُخْأَيْلَوَ[1]! ًلاجَمُوهُذِخَّتَافَمُكَشْغَدَقَ ْلُّيَّلا اَذَهَ

فِ سَوَادِكُمْ وَمَادَائِنِكُمْ؛ فَإِنَّ الْقَوْمَ إِنَّمَا يُطْلُبُونَنِي، وَلَوْ قَدْ أَصَابُونِي لَهَوْا عَنْ طَلَبِ غَيْرِي]![2]

أي: الليل دامس ومظلم؛ فكلّ من لا يُرافقنا، ويدور في رأسه هوى آخر، فليستغلّ الليل، وليتطلق نحو بيته ومسكنه! خذوا بأيدي نسائي وأطفالي، وبأيدي رجال أهل بيتي هؤلاء، واذهبوا بهم معكم! فهؤلاء القوم يُريدونني أنا، ويطلبونني أنا فقط، ولا شأن لهم بكم!

يقين أصحاب سيّد الشهداء عليه السلام في الدفاع عنه وحمايته

فيقوم زهير بن القين، ويقول: وَاللهِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي قُتِلْتُ، ثُمَّ نُشِرْتُ، ثُمَّ قُتِلْتُ، حَتَّى أُقْتَلَ فِي هَذِهِ الْفَتِيَانِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ! وَعَنْ ذَلِكَ أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَدْفَعَ عَنْكَ بِنَفْسِي وَعَنْ هَؤُلَاءِ الْفِتْيَانِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ![3]

ويقوم مسلم بن عوسجة، ذلك الشيخ المستنير البصيرة الذي قضى عمره كلّه في العبادة، وكان من الخواصّ من أصحاب أمير المؤمنين والإمام المجتبى وسيّد الشهداء عليهم السلام، وكان مشهورًا في الكوفة ومأنوسًا مع حبيب بن مظاهر، وقد جاءا معًا إلى كربلاء، وتعاهدا معًا، فيقول: وَاللهِ لَوْ عَلِمْتُ أَنِّي أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُحْرَقُ، ثُمَّ أُذْرَى سَبْعِينَ مَرَّةً، مَا فَارَقْتُكَ (وتخلّيت عن نُصرتك)!

وعندما يسقط على الأرض، ويحضر سيّد الشهداء عليه السلام مع حبيب بن مظاهر عند رأسه، يقول [ما معناه]: يا حبيب، لقد تعاهدنا معًا من الكوفة أن نكون في ركاب الحسين!

فيقول له حبيب [ما مضمونه]: لقد تعاهدنا معًا! ورغم أنّني أعلم أنّني لن أكون في خدمة مولاي إلّا ساعات قليلة، وأنّ حظّي من هذه الدنيا قليل؛ ولكن، إذا كانت لديك وصيّة فأنفِذها!

فيُشير إلى سيّد الشهداء عليه السلام، ويقول: يا حَبِيبُ، عَلَيْكَ بِهَذَا الْغُلَامِ![4]

أي: وصيّتي لك هي ألّا تترك التمسّك بأذيال هذا الغلام والوحيد!

وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا آلَ مُحَمَّدٍ أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ.

---

1. الإرشاد، ج ٢، ص ٩١.
2. مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، ج ٤، ص ٩٨.
3. روضة الواعظين، ج ١، ص ١٨٤.
4. مع اختلاف يسير؛ معالي السبطين، الحائري، ج ١، ص ٣٤٨؛ وقعة الطف، ص ٢٢٥.

نيملعلا ّبر لله دمحلاو